الوقاية من النار

السـؤال : كيف نقي أنفسنا وأهلينا من النار ؟

الجـواب : يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ . [التحريم : ١٠٢] .

أي اعملوا بينكم وبين النار وقاية ؛ بمعنى : احترسوا من أن تقعوا فيها .

ومن عجيب أمر هذه التقوى أنك تجد الحق سبحانه وتعالى يقول فى القرآن الكريم : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [ال عمران : ١٠٢] كيف نأخذ سلوكًا واحدًا تجاه الحق سبحانه وتعالى وتجاه النار التى سيعذب فيها الكافرون ؟!

اللّه تعالى يقول : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ ؛ أى : لا تفعلوا ما يغضب اللّه حتى لا تعذبوا فى النار ، فكأنك قد جعلت بينك وبين النار وقاية بأن تركت المعاصى وفعلت الخير .

وقوله تعالى : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ كيف نتقيه بينما نحن نطلب منه سبحانه كل النعم وكل الخير دائمًا ، كيف يمكن أن يتم هذا ؟ وكيف نتقى من نحب ؟

نقول إن للّه سبحانه وتعالى صفات جلال وصفات جمال . . صفات الجلال تجدها فى : القهار ، والجبار ، والمذل ، والمنتقم ، والضار . كل هذا من متعلقات صفات الجلال ، بل إن النار من متعلقات صفات الجلال .

أما صفات الجمال فهى : الغفار ، والرحيم ، وكل الصفات التى تنزل بها رحمات اللّه تعالى وعطاءاته على خلقه . . فإذا كنت تقى نفسك النار - وهى كما قلنا من متعلقات صفات الجلال - لابد أن تقى نفسك صفات الجلال كلها . لأنه قد يكون من متعلقاتها ما هو أشد عذابًا وإيلامًا من النار ، فكأن

الحق سبحانه وتعالى حين يقول : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ [البقرة : ٢٤] .

و ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [آل عمران : ١٣١] يعنى : أن نتقى غضب اللَّه الذى يؤدى بنا إلى أن نتقى كل صفات جلاله ، ونجعل بيننا وبينها وقاية . فمن اتقى صفات جلال اللَّه أخذ صفات جماله ، ولذلك يقول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « إذا كانت آخر ليلة من رمضان تجلى الجبار بالمغفرة »[1] .

وكان المنطق يقتضى أن يقول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « تجلى الرحمن بالمغفرة » ولكن ما دامت هناك ذنوب ، فالمقام لصفة الجبار الذى يعذب خلقه بذنوبهم . فكأن صفة الغفار تشفع عند صفة الجبار . . وصفة الجبار مقامها للعاصين ، فتأتى صفة الغفار لتشفع عندها ، فيغفر اللَّه للعاصين ذنوبهم ، وجمال المقابلة هنا حينما يتجلى الجبار بجبروته بالمغفرة فساعة تأتى كلمة جبار . . يشعر الإنسان بالفزع والخوف والرعب . لكن عندما تسمع « تجلى الجبار بالمغفرة » فإن السعادة تدخل إلى قلبك . لأنك تعرف أن صاحب العقوبة وهو قادر عليها قد غفر لك . والنار ليست آمرة ولا فاعلة بذاتها ولكنها مأمورة .

إذن . . فاستعذ منها بالآمر سبحانه وتعالى .

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢] ولقد قلنا : إن الهدى هدى اللَّه ؛ لأنه هو الذى حدد الغاية من الخلق ودلنا على الطريق الموصل إليها . فكون اللَّه هو الذى حدد المطلوب ودلنا على الطريق إليه فهذه قمة النعمة ؛ لأنه لم يترك لنا أن نحدد غايتنا ولا الطريق إليها . فَرَحِمَنَا بذلك مما سنتعرض له من شقاء فى أن نخطئ ونصيب بسبب علمنا القاصر ، فنشقى وندخل فى تجارب ، ونمشى فى طرق ثم نكتشف أننا قد ضللنا الطريق فنتجه إلى طريق آخر فيكون أضل وأشقى .

وهكذا نتخبط بدون أن نصل إلى شىء ، وأراد سبحانه أن يجنبنا هذا

---

(١) لم أجده فيما تحت يدى من مراجع .

كله فأنزل القرآن الكريم ، كتابًا فيه هداية للناس وفيه دلالة على أقصر الطرق لكى نتقى عذاب اللَّه وغضبه .

واللَّه سبحانه وتعالى قال : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أى : إن هذا القرآن هدى للجميع ، فالذى يريد أن يتقى عذاب اللَّه وغضبه يجد فيه الطريق الذى يحدد له هذه الغاية ، فالهدى من الحق تبارك وتعالى للناس جميعًا . ثم خص من آمن به بهدى آخر ، وهو أن يعينه على الطاعة .

obeikandl.com

دعاوى زائفة .. وبهتان عظيم

السؤال : **كيف يصف الكفار الرسول صلى اللّه عليه وسلم بالجنون مع أنه عرف بالحكمة والصدق والأمانة بينهم واشتهر بهذا قبل الرسالة وبعدها ؟**

الجواب : قالوا : ساحر !! وكان الرد ببساطة أن المسحور ليست له إرادة مع الساحر .. بحيث يستطيع دفع السحر عن نفسه ، وأن الساحر يسحر من أمامه رغمًا عن إرادتهم .. فإذا كان محمد صلى اللّه عليه وسلم ساحرًا فلماذا لم يسحركم أنتم حتى تؤمنوا به .. وبأى شىء رددتم السحر عن أنفسكم ؟

إن ادعاءكم هذا يكذب حجتكم لأن كونكم الآن جالسين تقولون ساحر فمعنى ذلك أنه لم يسحركم ، ولو كان ساحرًا حقيقيا لأجبركم بسحره على أن تتبعوه . وقالوا : مجنون ، نقول لهم إن الجنون عمل بغير رتابة ، بمعنى : أنك لا تستطيع أن تتنبأ بما يفعله المجنون فى اللحظة القادمة . فقد يجلس يتحدث معك وبعد دقيقة واحدة يضربك .. وتجده يبكى وبعد ثوان قليلة يضحك . ورد اللّه تبارك وتعالى عليهم : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم] .

والشهادة من اللّه بأن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم على خلق عظيم .. لا تتصادم مع ما يعرفه الكفار عنه قبل الرسالة ، فهو بشهادتهم كان معروفًا بالصدق والأمانة والخلق الحسن وكانوا يلقبونه : « الأمين » ، وكانوا يأمنونه على أموالهم وكل شىء له قيمة ، ولتعرف كيف يتناقض الكفار مع أنفسهم نقول لهم : كيف تأتمنون إنسانًا مجنونًا على أغلى ما تمتلكون ، هل هذا يتمشى مع العقل ، أيذهب الإنسان بأغلى ما عنده ويضعه عند رجل مجنون ؟ طبعًا مستحيل ؛ لا يمكن أن يكون المجنون على خلق عظيم .

وقالوا شاعر وكاهن ، فرد القرآن الكريم بقوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحاقة] .

وقولهم شاعر مردود عليهم . . لأن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لم يقل شعرًا فى حياته ، والمواهب لا تأتى فجأة بل لابد أن تصقلها التجربة والخطأ ، تمامًا كالذى يقود السيارة ، عندما يبدأ لابد أن يكون معه إنسان يعرف قيادة السيارة ، ويعلمه فيخطئ ويصيب ، ثم بعد ذلك يقود السيارة آليا .

ورسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ما كانت عنده ملكة الشعر ولا دربه أحد عليه[١] .

أما قولهم كاهن فالإنسان ينسى بمرور الوقت ، لذلك قيل : إذا كنت كذوبًا فكن ذكورًا .

وإذا أردنا أن نعرف الحقيقة فإننا نسأل الإنسان على فترات ، فإن كان كاذبًا فإنه يتخبط فى أقواله ، ورسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب ، كان ينزل عليه الوحى بالآيات فيتلوها على أصحابه ، ثم يؤذن للصلاة بعد ذلك بساعات ؛ فيتلو رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فى الصلاة الآيات التى نزلت عليه بدون أن يتغير منها حرف واحد ؛ ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ؛ لأن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لو كان يأتى بالقرآن من عنده لنسى ولغير وبدل ؛ لأن الذاكرة لا يمكن أن تستوعب بالألفاظ نفسها ما قالته .

ولو أنك جئت بإنسان وطلبت إليه أن يتحدث فى موضوع معين وسجلته له ، ثم طلبت منه أن يعيد بعد نصف ساعة ما قاله ، لا يمكن أن يأتى بالكلام نفسه أو بالألفاظ نفسها أو بالترتيب نفسه .

(١) كذلك القرآن ليس على أوزان الشعر التى يعرفها العرب .

عداوة الأزواج والأولاد

السؤال : **قال الحق : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ [التغابن : ١٤] . هناك من يسأل : أليس فى الآية الكريمة تعارض مع دعوة الإسلام إلى رعاية الزوج والأولاد ؟ ويقول كيف أعلم أن زوجى ومَنْ بين أولادى من هو عدو لى فأحذره ؟**

الجواب : إن الآية الكريمة لم تقل : إن أزواجكم وأولادكم عدو لكم . ولكن قال تعالى : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ . وهنا فرق كبير . فهو سبحانه ، جل شأنه قال لنا : إن بعض الأزواج وبعض الأولاد يكونون من الأعداء ، وهم ممن يحمِّلون أزواجهم فوق طاقاتهم مما قد يدفع الأزواج إلى اللجوء إلى ما لم يحل اللَّه لهم حتى يوفوا مطالبهم . وكذلك بعض الأبناء .

إذن . . فيجب أن نكون حريصين وحذرين فى ألا نُغلب عواطفنا نحو أزواجنا ونحو أولادنا فنتعدى حدود الحلال والحرام التى حددها لنا الحق تبارك وتعالى ؛ لأن بعض الأزواج - ولا نقول كلهم - وكذلك بعض الأبناء - لا كلهم - تغلبهم أنانيتهم ، وتكون طلباتهم فوق الطاقة .

وقد يكون بالأزواج والآباء والأمهات ضعف نحو تلبية طلباتهم، مما قد يدفعهم إلى معصية اللَّه تعالى ورسوله صلى اللَّه عليه وسلم[1] .

---

(١) قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ قال ابن عباس : نزلت هذه الآية بالمدينة فى عوف بن مالك الأشجعي شكا إلى النبى صلى اللَّه عليه وسلم جفاء أهله وولده فنزلت .

ذكره النحاس . وحكاه الطبري عن عطاء بن يسار قال : نزلت سورة « التغابن » كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ نزلت فى عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه فقالوا : إلى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا =

= ﴿ لَكُمْ ﴾ الآية كلها بالمدينة فى عوف بن مالك الأشجعى . وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة .

وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وسأله رجل عن هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ قال : هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فلما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا فى الدين هموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ معناه : على أنفسكم . والحذر على النفس يكون بوجهين : إما لضرر فى البدن وإما لضرر فى الدين . وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر الدين يتعلق بالآخرة . فحذر الله سبحانه العبد من ذلك وأنذره به . ﴿ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

روى الطبري عن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ قال : كان الرجل يريد أن يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فيقول له أهله : أين تذهب وتدعنا قال : فإذا أسلم وفقه قال: لأرجعن إلى الذين كانوا ينهون عن هذا الأمر فلأفعلن ولأفعلن ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وقال مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ قال : ما عادوهم فى الدنيا ولكن حملتهم مودتهم على أن أخذوا لهم الحرام فأعطوه إياهم .

والآية عامة فى كل معصية يرتكبها الإنسان بسبب الأهل والولد . وخصوص السبب لا يمنع عموم الحكم .

قال الحافظ فى الفتح : قوله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ ﴾ كأنه يشير إلى اختصاص الشؤم ببعض النساء من دون بعض مما دلت عليه الآية من التبعيض وقد جاء فى بعض الأحاديث ما لعله يفسر ذلك وهو ما أخرجه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم من حديث سعد مرفوعا « من سعادة ابن آدم ثلاثة : المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح . ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة : المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء » وفى رواية لابن حبان « المركب الهنى والمسكن الواسع » وفى رواية للحاكم « وثلاثة من الشقاء : المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك والدابة تكون قطوفا فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحق أصحابك والدار تكون ضيقة قليلة المرافق » .

وللطبرانى من حديث أسماء « إن من شقاء المرء فى الدنيا سوء الدار والمرأة والدابة » وفيه سوء الدار ضيق مساحتها وخبث جيرانها وسوء الدابة منعها ظهرها وسوء طبعها وسوء المرأة عقم رحمها وسوء خلقها .

Okeikandi.com

لا يعلم الغيب إلا الله

السؤال : عدم رؤيتنا لأي شيء ليس دليلاً على عدم وجوده ، ولكنه موجود . . وإن كنا لا نراه والله عالم الغيب . . نرجو توضيح ذلك وصلته بإيمان المؤمن ؟

الجواب : اقرأ قوله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ : ١٤] .

إذن . . فالغيب هو ما لا يعلمه إلا اللّه سبحانه وتعالى . . واقرأ قول الحق جل جلاله : ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن]

وهكذا فإن الرسل لا يعلمون الغيب . . ولكن اللّه سبحانه وتعالى يعلمهم ما يشاء من الغيب ويكون هذا معجزة لهم ولمن اتبعوهم .

وقمة الغيب هي الإيمان باللّه سبحانه وتعالى . . والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والإيمان باليوم الآخر ، كل هذه أمور غيبية[1] .

---

(١) روى البخارى [٥٠] ومسلم [٩/٥] عن أبي هريرة رضى اللّه تعالى عنه قال كان النبى صلى اللّه عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث قال ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد اللّه ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال ما الإحسان قال أن تعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال متى الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان فى خمس لا يعلمهن إلا اللّه ثم تلا النبى صلى اللّه عليه وسلم إن اللّه عنده علم الساعة الآية ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيئا فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم .
قوله : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ » أَيْ : بِوُجُودِهِ وَأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ « وَمَلَائِكَتِهِ » الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ هُوَ التَّصْدِيقُ بِوُجُودِهِمْ وَأَنَّهُمْ كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى=

وحينما يخبرنا اللَّه تبارك وتعالى عن ملائكته ونحن لا نراهم . . نقول ما دام اللَّه قد أخبرنا بهم فنحن نؤمن بوجودهم ، وإذا أخبرنا الحق سبحانه وتعالى عن اليوم الآخر ، فما دام اللَّه قد أخبرنا فنحن نؤمن باليوم الآخر ، لأن الذى أخبرنا به هو اللَّه جل جلاله ، آمنت به أنه الإله ، واستخدمت فى هذا الإيمان الدليل العقلى الذى جعلنى أؤمن بأن لهذا الكون إلهًا وخالقًا ، وما يأتينى عن اللَّه حيثية الإيمان به أن اللَّه سبحانه وتعالى هو القائل .

ولابد أن نعرف أن وجود الشىء مختلف تمامًا عن إدراك هذا الشىء . . فأنت لك روح فى جسدك تهبك الحياة ، أرأيتها ؟ أسمعتها ؟ أذقتها ؟ أشممتها ؟ ألمستها ؟ الجواب طبعًا لا ، فبأى وسيلة من وسائل الإدراك تدرك أن لك روحًا فى جسدك ؟ بأثرها فى إحياء الجسد .

إذن . . فقد عرفت الروح بأثرها ، والروح مخلوق للَّه ، فكيف تريد - وأنت عاجز أن تدرك مخلوقًا فى جسدك وذاتك وهو الروح بآثارها ، أن تدرك اللَّه سبحانه وتعالى بحواسك ؟!

ونحن إذا آمنا بالقمة الغيبية وهو اللَّه جل جلاله ، فلابد أن نؤمن بكل ما يخبرنا عنه وإن لم نَرَه ، ولقد أراد اللَّه تبارك وتعالى رحمة بعقولنا أن

= عِبَادٌ مُكْرَمُونَ وَقَدَّمَ الْمَلَائِكَةَ عَلَى الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ نَظَرًا لِلتَّرْتِيبِ الْوَاقِعِ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْسَلَ الْمَلَكَ بِالْكِتَابِ إِلَى الرَّسُولِ ، وَلَيْسَ فِيهِ مُتَمَسَّكٌ لِمَنْ فَضَّلَ الْمَلَكَ عَلَى الرَّسُولِ « وَكُتُبِهِ » الْإِيمَانُ بِكُتُبِ اللَّهِ التَّصْدِيقُ بِأَنَّهَا كَلَامُ اللَّهِ وَأَنَّ مَا تَضَمَّنَتْهُ حَقٌّ « وَرُسُلِهِ » الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ : التَّصْدِيقُ بِأَنَّهُمْ صَادِقُونَ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنِ اللَّهِ ، وَدَلَّ الْإِجْمَالُ فِي الْمَلَائِكَةِ وَالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ عَلَى الاكْتِفَاءِ بِذَلِكَ فِي الْإِيمَانِ بِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ إِلاَّ مَنْ ثَبَتَتْ تَسْمِيَتُهُ فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ عَلَى التَّعْيِينِ « وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » الْمُرَادُ بِالْإِيمَانِ بِهِ التَّصْدِيقُ بِمَا يَقَعُ فِيهِ مِن الْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ « وَالْقَدَرِ » مَصْدَرٌ ، تَقُولُ قَدَرْت الشَّيْءَ بِتَخْفِيفِ الدَّالِ وَفَتْحِهَا أَقْدِرُهُ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ قَدْرًا وَقَدَرًا : إذَا أَحَطْت بِمِقْدَارِهِ . وَالْمُرَادُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ مَقَادِيرَ الْأَشْيَاءِ وَأَزْمَانَهَا قَبْلَ إيجَادِهَا ثُمَّ أَوْجَدَ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ ، أَنَّهُ يُوجَدُ فَكُلُّ مُحْدَثٍ صَادِرٌ عَن عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ ، هَذَا هُوَ الْمَعْلُومُ مِنْ الدِّينِ بِالْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ وَعَلَيْهِ كَانَ السَّلَفُ مِن الصَّحَابَةِ وَخِيَارُ التَّابِعِينَ إلَى أَنْ حَدَثَتْ بِدْعَةُ الْقَدَرِ فِى أَوَاخِرِ زَمَنِ الصَّحَابَةِ « خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » بِالْجَرِّ بَدَلٌ مِن الْقَدَرِ .

يقرب لنا قضية الغيب فأعطانا من الكون المادى أدلة على أن وجود الشىء ، وإدراك هذا الوجود شيئان منفصلان تمامًا .

فالجراثيم والميكروبات مثلاً موجودة فى الكون تؤدى مهمتها منذ بداية الخلق ، وكان الناس يشاهدون آثار الأمراض فى أجسادهم من ارتفاع فى الحرارة وحمى وغير ذلك وهم لا يعرفون السبب ؛ فلما ارتقى العلم وأذن اللَّه لخلقه أن يروا هذا الوجود للجراثيم ، جعل اللَّه العقول قادرة على أن تخترع المجهر ، الذى يعطينا الصورة مكبرة ، لأن العين قدرتها البصرية أقل من أن تدرك هذه المخلوقات الدقيقة ، فلما اخترع العلم المجهر ، استطعنا أن نرى هذه الجراثيم ، ونعرف أن لها دورة حياة وتكاثرا إلى غير ما يكشفه اللَّه لنا من علم كلما تقدم الزمن .

إن عدم قدرتنا على رؤية أي شىء لا يعنى أنه غير موجود ، ولكن آلة الإدراك التى هى البصر عاجزة عن أن تراه ، لأنه غاية فى الصغر ، فإذا جئت بالمجهر كبَّر لك صورة هذا الميكروب ليدخل فى نطاق وسيلة رؤيتك وهى العين ، ورؤيتنا للجراثيم والميكروبات ليست دليلاً على أنها خلقت ساعة رأيناها ، بل هى موجودة تؤدى مهمتها ، سواء أرأيناها أم لم نرها .

فلو حدثنا أحد عن الميكروبات والجراثيم قبل أن نراها رؤية العين ، هل كنا نصدق ؟ واللَّه سبحانه وتعالى ترك بعض خلقه غير مدرك فى زمنه لبعض حقائق الكون ليرتقى الإنسان ويدرك بعد ذلك ، وكان المفترض أنه يزداد إيمانًا ، عندما يدرك وليعرف الخلق بالدليل المادى أن ما هو غيب عنهم موجود وإن كنا لا نراه .

واللَّه تبارك وتعالى قد أعطانا من آياته فى الكون ما يجعلنا ندرك أن لهذا الكون خالقًا ، فالشمس والقمر والنجوم والأرض والإنسان والحيوان والجماد لا يستطيع أحد أن يدعى أنه خلقهم ، ولا أحد يمكن أن يدعى أنه خلق نفسه أو غيره ، ولا يمكن لهذا الكون بهذا النظام الدقيق أن يوجد مصادفة ؛ لأن المصادفات أحداث غير مرتب لها أو غير منظمة ، ولو وجد هذا الكون مصادفة لتصادمت الشمس والقمر والنجوم والأرض ولاختل الليل والنهار .

ولكن كل ما فى الكون من آيات تؤكد لنا أن هناك قوة هائلة هي التى خلقت ونظمت وأبدعت ، فإذا جاءنا رسول يبلغنا أن اللّه سبحانه وتعالى هو الذى خلق هذا الكون فلابد أن نصدقه .

ثم يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الأنفال : ٣] . والصلاة هي إدامة ولاء العبودية للحق تبارك وتعالى وهى لا تسقط عن الإنسان أبدًا ، فالإنسان يصلى وهو واقف ، فإن لم يستطع يصلى وهو جالس . فإن لم يستطع ، فيصلى وهو راقد ، ولا تسقط الصلاة عن الإنسان من ساعة التكليف إلى ساعة الوفاة كل يوم خمس مرات .

ويقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الأنفال : ٣] . وحين نتكلم عن الرزق يظن كثير من الناس أن الرزق هو المال !!

نقول له : لا ، الرزق هو كل ما ينتفع به . فالقوة رزق ، والعلم رزق ، والحكمة رزق ، والتواضع رزق ، وكل ما فيه حركة للحياة رزق ، فإن لم يكن عندك مال لتنفق منه فعندك عافية تعمل بها لتحصل على المال ، وتتصدق به على العاجز المريض . . وإن كان عندك حلم ، فإنك تنفقه بأن تقى الأحمق تصرفات قد تؤذى المجتمع وتؤذيك ، وإن كان عندك علم أنفقته لتعلم الجاهل ، وهكذا نرى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ تستوعب جميع حركة الحياة .

الإنسان .. إما شاكرا وإما كفورا

السؤال : ما معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان : ٣] ؟

الجواب : حينما قال الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾ فسر السبيل ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ والسبيل هو الطريق الذى يسلكه ، إما شاكرًا لِأنْعُم اللَّه ، وإما كفورًا بأنعُم اللَّه ، فهو مُهَيَّأ للأمرين وربما يقول سبحانه : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد : ١٠] . أى : جعلناه صالحًا لهذه . . وصالحًا لهذه فما الذى يرجح ؟ فما دام فيه الصلاحية لهذه ، ولهذه ، ما الذى يرجح منهج اللَّه من إلزام نفسى به ؟ لو كنت مخلوقًا لطريق واحد كنت أقول : لا فأنا لا أستطيع أن أذهب إلى الطريق الآخر . . ولكنه هو مهدى للسبيل والمنتظر أمران : إما أن يكون شاكرًا ، وإما أن يكون كفورًا[1] .

---

(١) قال القرطبى ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾ أى : بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال ، والخير والشر ببعث الرسل ، فآمن أو كفر ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ .

وقال مجاهد : أي بينا له السبيل إلى الشقاء والسعادة .

وقال الضحاك وأبو صالح والسدى : السبيل هنا خروجه من الرحم .

وقيل : منافعه ومضاره التى يهتدى إليها بطبعه وكمال عقله . ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ أى : أيهما فعل فقد بينا له .

قال الكوفيون : « إن » ها هنا تكون جزاء و« ما » زائدة أي بينا له الطريق إن شكر أو كفر . واختاره الفراء ولم يجزه البصريون ؛ إذ لا تدخل « إن » للجزاء على الأسماء إلا أن يضمر بعدها فعل .

وقيل : أي هديناه الرشد ، أى : بينا له سبيل التوحيد بنصب الأدلة عليه ؛ ثم إن خلقنا له الهداية اهتدى وآمن ، وإن خذلناه كفر . وهو كما تقول : قد نصحت لك ، إن شئت فاقبل ، وإن شئت فاترك ؛ أى : فإن شئت ، فتحذف الفاء . وكذا ﴿ إِمَّا شَاكِرًا ﴾ والله أعلم .

=

= ويقال : هديته السبيل وللسبيل وإلى السبيل .

وجمع بين الشاكر والكفور ، ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما فى معنى المبالغة ؛ نفيا للمبالغة فى الشكر وإثباتا لها فى الكفر ؛ لأن شكر اللّه تعالى لا يؤدى ، فانتفت عنه المبالغة ، ولم تنتف عن الكفر المبالغة ، فقل شكره ، لكثرة النعم عليه وكثرة كفره وإن قل مع الإحسان إليه . حكاه الماوردى .

obeikandl.com

من الإعجاز العلمى للقرآن

السـؤال : **يخشى الكثيرون البحث فى الإعجاز العلمى للقرآن ، خوفًا من أن تتغير نظريات العلم ، ويتعرض القرآن لما لا يجوز عليه ، وكبار العلماء الباحثين فى الطبيعيات والفلك والأحياء يقولون إن القرآن تعرض لما يجعله معجزة علمية من دون أن يتعرض بفعل التغيير إلى أي اهتزاز .. فهل عندكم شيء من هذا القبيل يقنع القارئ بهذا الإعجاز ؟**

الجـواب : نعم .. القرآن يمس حقائق العلم ، ويجعلها زادًا للأجيال لنشاطهم الذهنى لكشف عطاء القرآن بصفة دائمة حتى تقوم الساعة .

مثلاً يقول اللّه تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ ﴾ [النبأ]

شبه الجبال بالأوتاد فى البيئة العربية الجاهلية . والتشبيه هنا من التشبيه البليغ . حذفت منه أداة التشبيه ، فكأنه هو بعينه .. كما تقول : هند قمر .. ولا تقول كالقمر .

وكأن اللّه تعالى يقول : يا عربى ، يا من تنصب الخيمة وتجيء لها بالعمد والأوتاد . ماذا تعمل هذه الأوتاد ؟ الأوتاد وضعت لتثبيت الأرض ، أم لتثبيت شيء على الأرض .

وهذه مفارقة فى التشبيه .. أنت تقول : الجبال وضعت فى الأرض أوتادًا لكى تثبت الأرض .. ونحن نقول : الأوتاد فى الخيمة ليست كذلك .. الأوتاد تثبت الخيمة التى على الأرض .. ولا تثبتها وحدها إنما لابد من العمد .

إذن .. الجبال جاءت لتثبت شيئًا على الأرض ، ولم تجئ لتثبيت الأرض .

الخيمة لا تقوم بالأوتاد وحدها ، وإنما تقوم بعد العمد .. فالجبال

تثبت ماذا على وجه الأرض ؟ هذا هو الذى احتاج إلى بحث العلماء .

ماذا قال العلماء ؟

وجدنا عالما راح يبحث كتلة جبل من الجبال . لكي يعين كتلة الأرض ، ثم وجدنا بحثًا أن الأرض لا تصلح للحياة إلا بوجود الهواء فيها . . وعرفنا أن غلافًا هوائيا يلف الأرض ، وهذا الغلاف من ضمن الأرض ، بدليل أن اللّه تعالى يقول : ﴿ سِيرُواْ فِيهَا ﴾ [سبأ : ١٨] ، وإنما نحن نسير عليها . . ولكن لما كان الهواء من ضمن الأرض قال : ﴿ سِيرُواْ فِيهَا ﴾ .

وهذه القبة الهوائية تمنع عنا أشياء كثيرة جدا ، فما الذى جعل هذه القبة الهوائية لا تنفلت من الأرض وتصعد فى الفضاء الكونى ؟

لابد من وجود شىء يشدها إلى الأرض ، فبحثوا فوجدوه « قانون الجاذبية » .

ثم جاء عالم آخر وقال : هل لثقل الأرض دخل فى قوة جاذبيتها ؟

نعم . . وجود الجبال على الشكل المخصوص ، تعمل أودية ، وتعمل مثل حوض يجىء الهواء من هنا ويضرب هنا ، فهذا يعين على الاحتفاظ للأرض بجوها .

فكأن العمَدَ التى تساعدُها الأوتادُ هي العمَدُ غير المرئية التى هي قانون الجذب الموجود فى الأرض ، ويكون القرآن الكريم متمشيًا مع واقع الخيمة وموقع الوتد .

وهكذا سيجد كل عصر - بما فيه من تقدم - زاده من القرآن ، ومن استنباط أسراره على قدر ما يستطيع .

obeikandl.com